



هذه رسالة يكتبها مُحَبٌ لكم يريد بكم الخير، ومحب لسوريا يتمنى لها السلام، ومحب لأهلها يرجو لهم النصر الكبير والفرج القريب.

إنني لأعلم أن في الكتائب جماعات هي كالذهب الخالص، ولكن فيها أيضاً من اعتراه نقص ووقع منه خطأ وقصير. وأعلم أن في القادة مَنْ بلغوا الغاية في التقوى والصلاح، ولكن فيهم أيضاً من غَرَّته الدنيا وأفسده السلطان. فهؤلئك كلمات لا تضر قراءتها الصالحين والذاكرين، وقد ينفع بها فريق من الناسين والغافلين.

* * *

يا قادة الكتائب:

لقد حَمَلَكُم الله أمانةً لم يحملها غيركم، وإنه لนาصر كيف تحافظون عليها وماذا أنتم بها صانعون.
وإنكم عليه غداً واردون، وإنكم عنها مسؤولون، فلا تستطيلوا المهلة فتنسوا الحساب.

ولا تحسبوا القيادة غُنِّيَّةً عن مأمورها، إنما هي غرم غرمتموه، وإنها مسؤولية يتبعها سؤال، وإنها يوم القيمة نداة إلا لمن قام بحقها وأخلص في حملها واستقصى الصواب.

لا يقدمون أحداً منكم على الله بغلول غلَّه وغناائم استأثر بها من دون جماعة المسلمين، أو بظلمات واعتداءات سوغتها له قوة سلاحه وسلطانه، ولا يكن أحد منكم سبباً في تفرق كلمة المجاهدين وعائقاً يعوق الوحدة وجمع الصفوف.

لا يقفن أحداً منكم غداً في محكمة الديان وفي رقبته شهداء تسبب بهم جَهْلُه في القيادة وقلة حيلته، أو شهداء تسبب بهم تخاذله عن نصرة إخوانه؛ من لم يكن أهلاً للقيادة فليتركها لغيره، ومن كان بجواره إخوة مجاهدون يحتاجون إلى الدعم والمساعدة – وهو قادر على نصرتهم – فليمددهم بالنجدَة قبل فوات الأوان.

* * *

تكرم على بعض الأفاضل ذات مرة فقالوا: سترشك لمناصب علياً بعد التحرير.

قلت: أقدفوني في النار خير لي من ذلك.

إن القيادة مسؤولية هُمُّها كبير وحسابها عسير، وإنني لا أحبها لنفسي ولا أحبها لمن أحب.

يكفيوني أن أقبل على ربي يوم القيمة وفي رقبتي زوجة وأولاد، ما حاجتي بالحمل الثقيل وأنا لم أضمن النجاة بهذا الحمل

فخير لك – أيها القائد. أن تكون في ذلك اليوم العسير مظلوماً ولا تكون ظالماً، وإن كنت ظالماً فلا تنس أن تعدد منذ اليوم جواب كل سؤال.

إنك اليوم قوي وفي يدك سلاح وتحت أمرك رجال، والقوة تُطغى إذا لم يلجمها إيمان صادق ويقين بما عند الله من نعيم وعذاب.

ألا لا تحملتك قوتك على ظلم الضعيف فإن له رباً يُنصفه، فليست المعركة بين الظالم والمظلوم أبداً، إنها – على التحقيق – معركة بين الظالم ورب المظلوم، فاما أن يظن الظالم أن به قدرة على حرب الله، أو لينزع يداً من ظلم ويرد الحق إلى أصحابه.

* * *

إن القوة التي يملكتها القادة اليوم قوة مؤقتة. كم سيبقى هذا الوضع الشاذ في سوريا، حيث يحمل أفراد الناس السلاح ويكونون الكتائب والجماعات؟ **قد يستمر شهوراً أو سنة أو سنتين. وماذا بعد؟**

سينهار النظام وينشأ في سوريا جيش وطني حر جديد يجمع السلاح من أيدي الناس، وسوف يعود كل واحد إلى عمله وحياته التي كان فيها قبل الثورة.

وسرعان ما يكتشف الجميع أن القوة الطارئة لم تكن سوى وهم صغير، حلم سرعان ما سينقضى كما تنقضى الحياة نفسها بخيرها وشرها.

وما الحياة؟ إن تكن قوة السلاح وهم صغيراً فالحياة هي الوهم الكبير، بكل ما فيها من مُلك وسلطان وقوة وجاه وهيلمان... كله إلى زوال، ولا تبقى إلا الحقيقة الكبرى، الآخرة الباقية التي سترث هذه الدنيا الفانية بما فيها وما عليها، فمن كان عاقلاً لم يبع بالحياة الباقية حياة فانية ولم يستبدل بالحقائق الأوهام.

* * *

يا قادة الكتائب:

اذكروا يوماً تردون فيه على الله بلا سلاح ولا أعون، يوماً تجتمع فيه الخليقة في حضرة ملك الملوك، الملك الديان، يوماً يصطف الناس فيه فرادي عزلاً عراة عانيةً وجوههم للحي القيوم. ذلك يوم التلاق، يوم يلتقي فيه كل إنسان بعمله ويلتقي كل مظلوم بظالمه. ذلك يوم الحساب، يوم لا تخفي فيه على الديان خافية. يوم ينادي فيه المنادي: لمن الملك اليوم؟ ف يأتي الجواب الحاسم المزلي: لله الواحد القهار.

كلنا سنقف بين يدي الملك في ذلك اليوم العصيب. ويل يومئذ للظالمين، وطوبى لمن حفّ حمله وهان سؤاله، طوبى لأمير عادل، طوبى للضعفاء والمساكين.

المصادر: